4-CH.R. AGERON –contribution à l'étude de la propagande allemande au Maghreb pendant la 2 ème guerre mondiale; RHM, n° 7-8, janvier 1977, P. 28.

5- نفس المرجع – ص 29.

6- الرويسي – نفس المرجع – ص19.

7- الرشيد إدريس – أعمال ملتقى "بناء المغرب العربي"، تونس، 1981، ص 24.

8- الرويسي – نفس المرجع – صص 24 – 25.

9- الرويسي –المرجع السابق- م ت م –عدد 7 – 8 صص 26 –27.

10- الرشيد إدريس – أعمال'.... ص24.

11- محمد بلقاسم – الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910م – 1954م – رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2ج- 1944م – ص321، وتجدر الاشارة إلى أننا استعنا كثيرا بهذا العمل الأكاديمي الممتاز الذي يستحق أن ينشر كاملا.

12- د. أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية الجزائرية –1930م – 1945م – ج3 القاهرة مصر 1975م – ص 243. وكان الشيخ محمد الخضر حسين قد أسس عام 1923م "جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا".أنظر كذلك محمد مواعده- محمد الخضر حسين حياته وآثاره – الدار التونسية للنشر – تونس 1974.

13- الفضيل الورتلاني – الجزائر الثائرة – بيروت 1963م – ص 286.

14- سلمى الحفار – مي زيادة وأعلام عصرها – رسائل مخطوطة لم تنشر 1912م – 1940م – مؤسسة نوفل بيرو 1982م – صص 483 487، كان الأمير مختار يقيم في بيروت في الثلاثينيات ثم انتقل إلى القاهرة بعد 1939م.

15- علال الفاسي – الحركات الاستقلالية في المغرب العربي – مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء 1993م ص 269

16- نفس المرجع.

17- الورتلاني – نفس المصدر – صص 369-371.

18- الورتلاني – نفس المصدر – ص 292-293.

19- نفس المصدر – صص 380-395.

20- يوسف الرويسي – نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق – الحلقة الثانية – م ت م عدد12- جويلية 1987 – تو ص 209.

21- مواعده – نفس المرجع – ص168.

22- الشيخ الفضيل الورتلاني: "مجاهدون يعودون من الآخرة" جريدة الكتلة المصرية 1946/03/03م.

23- ابن العقون – مرجع سابق – ج3 ص 60.

محمد ان عمر الهواري (751-843 هـ 1350-1439م): التعريف به وبنزعته الصوفية

أ/ بوداود عبيد *

يعد الشيخ محمد بن عمر الهواري، المشهور بسيدي الهواري، من أهم الشخصيات الصوفية التي عرفها المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري، لا سيما في مدينة وهران. وإن الدراسات التي اهتمت بهذه الشخصية تبقى قليلة جدا. لذلك ارتأينا أن نعرف به من خلال سيرته الذاتية، والزاوية التي أسسها بمدينة وهران، والأفكار الصوفية التي كان يؤمن بها.

هوأبوعبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغياري المغراوي المعروف بالهواري.[1] رددت هذا النسب مختلف المصادر [2] مستندة في ذلك إلى ابن صعد التلمساني (ت 901) في كتابه "روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين"، في حين انفرد صاحب دليل الحيران وأنيس السهران بنسب آخر الهواري لا يختلف كثيرا عن الأول في بداياته، لكنه حاول أن يعود به إلى الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – استنادا إلى كتاب "جواهر الأسرار في معرفة آل النبي المختار"[3] والذي

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ- جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر.

لم يذكر صاحبه. والظاهر أنّ هذا النسب مبالغ فيه، وهو من قبيل التلفيق، وهو يكشف ل في أحد وجوهه على المكانة التي ظلّ يتبوأها آل البيت في نفوس الشعوب المغاربية، وما محاول الانتساب إليهم، والتعلّق بنسبهم الشريف إلاّ تعبيرا عن هذه المكانة التي أثارته تصرفات الدولة العُبيدية (الفاطمية) لدى المغاربة.

أما النسبة المزدوجة لهذه الشخصية أي المغراوي والهواري، وكلاهما قبيلتين بربريتي (مغراوة وهوارة)[4] فلقد جاءت باعثة على عدة تأويلات، حيث اعتبر "صاحب الثغر الجما في ابتسام الثغر الوهراني" أن إحدى النسبتين تكون للأصل والأخرى للوطنية[5] وهذا ما شج بعض المؤرخين على القول أن أصل محمد بن عمر يعود إلى قبيلة مغراوة وتربى في هوارة.[6] ف حين يرى الدكتور يحي بوعزيز أنه ولد: "بهوارة في أحواز كلميتو[7] على بعد عشرين كل شرق مدينة مستغانم".[8] ويذكر ابن صعد أنه انتقل أي الهواري إلى بلدة كلميتو بعد بلوغ سن العاشرة من عمره.[9]

وإذا كانت المصادر لم تفصل في مكان ميلاد الهواري بالضبط، وجاءت التأويلات مختلف بهذا الشأن، فإن تاريخ ميلاده يعود على الأرجح إلى سنة **751**هـ، وذلك لاعتبارين اثن وهما: أنه دخل مدينة فاس كما يأتي ذكره سنة **776**هـ وعمره خمسة وعشرون سنة، وأ توفي سنة **843**هـ عن عمر يناهز الاثنين والتسعين سنة.

وقبل كمال سن العاشرة، أتمّ محمد بن عمر الهواري حفظ القرآن الكريم، وكان مؤد الأول الذي حفّظه القرآن شيخ يدعى علي بن عيسى لم تذكر المصادر عنه أي شيء. وتم الهواري منذ طفولته بالأخلاق الفاضلة مما جعله يحظى باهتمام والده ورعايته ومحبته.[10]

ثم غادر محلّ ولادته لأول مرة قاصدا بلدة كلميتو، حيث تلقى تربيته الصوفية الأولى على يد شيخ صوفي كان يتعبد في غار هناك، لم تذكر المصادر لا اسمه ولا صفاته وحاله.[11]، ويذك ابن صعد أن وصول الهواري إلى درجة أولي التحقيق كان نتيجة دعوة هذا الشيخ.[12]

وكعادة الشباب التوّاق للمعارف والسياحة– حينما كان العلم يؤتى له– بدأ محمد بن عمر الهواري رحلته في طلب العلم، وعلى اعتبار أن مدينة بجاية كانت وقتذاك من أهم حواضر المغرب الأوسط إن لم نقل أهمها من حيث عدد أساتذتها وكفاءتهم، وكذلك شهرة معاهدها الدراسية، قصدها الهواري في البداية. ويذكر ابن صعد أنه دخلها بعد سنة من صومه أي من بلوغه.[13] لذلك لا نستبعد التاريخ الذي حدّده الدكتور عبد الحميد حاجيات وهو سنة **767**هـ تاريخا لانتقاله إلى مدينة بجاية.[14] أو في السنة التي قبلها، خاصة وأن الشباب المسلم عادة ما كان يؤدي فريضة الصوم قبل البلوغ في الكثير من الأحيان، ولا يزال هذا التقليد سائدا لدى بعض الأسر إلى غاية الآن.

ونشير أن هناك فترة من حياة الهواري تبقى غامضة أمام السكوت المطبق للمصادر عنها، وهي الفترة الممتدة ما بين انتقاله إلى بلدة كلميتو، ورحلته إلى بجاية اللهمّ إلاّ ما سيق من أخبار في قالب أسطوري عنه بعد مفارقته الشيخ الولي الذي زاره في بلدة كلميتو: "فطاف البلاد شرقا وغربا يجول في الصحاري البعيدة والفلوات المقفرة، وطعامه فيه الحشيش وأوراق الأشجار، وتخالطه فيها الوحوش والسباع ولا يخافها"[15] وقد ندرج هذه الرحلة غير المحدّدة الاتجاه في إطار التربية الصوفية الأولى التي يتلقاها مريدو التصوف وتلامذته، حيث يتمرنون على تحمل المشاق وتخطي مختلف الصعاب.[16]

وفي مدينة بجاية تتلمذ الهواري على يد كبار مشائخها وعلمائها، ونال إجازتهم في مختلف العلوم، واعتبر كل من أحمد بن إدريس (ت **760**هـ)[17]، وعبد الرحمن الواغليسي (ت **786** هـ) على رأس أولئك المشايخ. وتمكن وهو في بجاية من الإحاطة بالعديد من العلوم العقلية والنقلية، وحفظ العديد من الكتب المُقرّرة، وحينما بلغ باب الصيد من كتاب التهذيب للبراذعي[18] "المدونة البراذعية" ترك بجاية متوجها إلى حاضرة مغاربية أخرى اشتهرت بدورها العلمي والحضاري ألا وهي مدينة فاس.[19]

وجاءت مواقف الهواري من أهل بجاية مليئة بالثناء عليهم لما اشتملوا عليه من فضائ وكرم أخلاق، ومنها حبهم للغرباء.[20] وهو ما يُذكّرنا بنفس المواقف تقريبا التي سجل المتصوف الكبير أبومدين شعيب، الذي استقر بها فترة طويلة خلال القرن السادس الهجري وفضلّها على سائر الحواضر الأخرى. كما أنَّ مواقف الهواري من بجاية وأهلها تؤكد أ مغادرته لهذه المدينة لم يكن لأيّ سبب سوى الاستزادة في طلب العلم من مواقع ومنا أخرى.

دخل الهواري مدينة فاس، وهو في عنفوان شبابه، وفي السنة التي دخلها أي 776ه انتهى من حفظ المدونة البراذعية. وهو ما يكشف أن المقرارات الدراسية من برامج وكت كانت متشابهة بين مختلف المدن والمعاهد المغاربية. وبهذه المدينة تتلمذ على يد شيوخ أجلّة م أمثال موسى ين محمد بن معطي العبدوسي (ت 776هـ)[21] وأحمد بن القاسم بن عبد الرح القباب (ت 778هـ)[22] عمّق معارفه في مختلف العلوم الدينية واللغوية. وتمكن من اكتسا احترام شيوخه لسَعة فهمه وإدراكه، ونبل أخلاقه، ولديانته.[23]

وفي الوقت الذي لا يزال الهواري طالب علم في مدينة فاس، باشر بها تدريس الط القرآن وكتب العربية والفقه. وفي سنة 776هـ دائما ألّف أول كتاب له المسمى بالسه الذي وُصف بما يلي: "وهو من أجمع لأحكام مسائل الطهارة والصلاة، وأعظمها فائد وأعمّها بركة، وسمّاه في بعض كلامه بالمؤانس".[24] وأضاف على هذا الكتاب شرحا سم التنبيه[25] وأصبح هذان الكتابان يُشار إليهما معا بكتاب السهو والتنبيه. وانفرد المزار بعنوان أطول لهذا المؤلَف وهو: "السهو والتنبيه للفقراء أهل الفضل النبيه".[26]

وإذا كان ابن صعد يذكر أن كتاب السهو ألّفه الهواري في مدينة فاس، فإن الدكتور يح بوعزيز يذكر أنّه ألّف كتاب السهو والتنبيه، وقصيدة التسهيل في مدينة بجاية. ولا ندري م هي المصادر التي استند عليها في هذا الحكم؟[27]

والظاهر أن إنجاز الكتاب في صفحته النهائية قد تّم بمدينة فاس، ولا يُستبعد أنه قد شرع في تأليفه بمدينة بجاية، وذلك لاعتبارات عديدة منها أنه فرغ من تأليف هذا الكتاب في سنة حلوله بمدينة فاس أي سن 776هـ، ولم يكن ذلك هو النشاط الوحيد الذي اضطلع به، بل كذلك أكمل حفظ المدونة البراذعية، وشرع في تدريس الطلبة، مما قد لا يهيئ له الوقت الكافي للتأليف خصوصا وأنه كان يختلف إلى حلقات الدروس لأخذ العلم. لذلك يكون قد بدأ في تأليف هذا الكتاب في مدينة بجاية وأتمّه في مدينة فاس.

بعد هذا النشاط المكثّف في مدينة فاس، شرع الهواري في الرحلة الاعتيادية لأغلب الطلبة والعلماء والمتصوفة نحو بلاد المشرق لأداء فريضة الحج، والاستزادة من مختلف المعارف. وهنا لا تذكر المصادر تاريخ هذه الرحلة لا ذهابا ولا إيابا، مما لا يمكّننا من تحديد الفترة التي قضاها هناك، إلاّ أنّها توقفت ولو باختصار عند أهم المحطات التي توقف عندها في هذه الرحلة. وكانت أولها مصر التي استقرّ بها "مدة للقراءة والإقراء"[28] مما يُفترض أنّ الهواري انتقل إلى بلاد المشرق، وهو يتمتع بمستوى يؤهله للإقراء، لكنّه ظلّ يتردد على العلماء للأخذ عنهم، ومن بين الذين لقيهم في مصر، وأخذ عنهم الحافظ العراقي[29] (725 – 806 هـ)[30] ثم توجه إلى الحجاز، وجاور بالحرمين الشريفين (مكة والمدينة) عدة أيام، وفي مكة كان مقيما برباط الفتح.[31] ثم زار بيت المقدس وجال ببلاد الشام، وأقام بالجامع الأموي بدمشق مدة قبل أن يشرع في رحلة العودة، إذ استقر به المقام في مدينة وهران من بلاد المغرب الأوسط.[32]

لكن السؤال المطروح: لماذا استقر في مدينة وهران دون سائر مدن المغرب الأوسط؟ هنا قد يكون للنشاط العمراني والبشري الذي عرفته المدينة، خاصة من جراء الهجرة الأندلسية إليها، باعثا للهواري على الاستقرار بها، لأنه قد يرى أن دورًا ما ينتظره تجاه سكان المدينة الذين أصبحوا في تزايد مستمرّ، وهم في حاجة إلى مَن يُوجههم ويرشدهم، وهذا ما انطبق

تماما على جزء من مهام واهتمامات الهواري في هذه المدينة مما سوف نشير إليه لاحقا. وق يكون بُعد المدينة عن مركز السلطة الزمنية، وتمتعها بنظام إداري متحرِّر نوعا ما، من بي دوافع هذا الاختيار، حتى يكون بعيدا عن ضغط السلطة المركزية ومراقبتها.

وحينما استقرَّ الهواري في مدينة وهران، أسّس بها زاوية، وتعددت نشاطاته بها، وشملت يلي: "...يُدرس فيها مختلف العلوم الدينية، ويلقي محاضرات في الوعظ والإرشاد، ويدع الناس إلى التوبة والعمل الصالح، والزهد في ملذات الدنيا".[33]

وتميّز أسلوب الهواري في الوعظ بالمزاوجة بين الترغيب والترهيب حسب نوع وحا مستمعيه: "...وكان إذا حضر مجلسه الأغنياء، وأرباب الدنيا دعاهم إلى الله بطريقة الخوف وذكّرهم بآيات انتقامه وأليم عذابه. وإذا حضر مجلسه الفقراء والمساكين دعاهم إلى ال بطريق الصبر، وذكّرهم بآيات الرّجاء وحسن الظن بالله، وإذا حضره أهل الصحة والعا من التجار ذكّرهم بطريق الشكر، وحضّهم على إخراج الزكاة، وأنها مطهِّرة للمال، ثم ي بهم لترك المعاملة مع من غلب عليه الحرام، ويبصرهم بفائدة طلب الحلال".[34]

ويكشف لنا هذا النص الدور الكبير الذي بات يلعبه الهواري في حفظ التوازن بي مختلف شرائح المجتمع، بين الأغنياء والفقراء، من خلال تشجيعه لنظام التكافل الاجتماعي بي هذه الشرائح. كما أن حضور مختلف هذه الشرائح في المجالس التي كان يعقدها، يظهر المكا التي أصبح يحظى بها داخل وهران، وخارجها لأن زوّاره سواء من الفقراء أو التجار لم يكو من وهران، بل من الأرياف ومن مدن أخرى أيضًا.

ولقد فرض الهواري احترام الآخرين له لما أشيع عنه من مظاهر زهد سواء في مطعمه أ ملبسه حتى أصبح مضرب الأمثال والقدوة في هذا المجال: "أما الطعام فكان أكله رحمه ال قليلا، وكان ينوي به التقوية على طاعة الله...وصرّح في كثير من كلامه أنه ما شبع قط وأنه كان لا يمدّ يده للطعام إلاّ وهو جائع محتاج إليه...وكان أكثر أكله الخبز...".[35] أ

اللباس فكان يقتصر على "سُترة وكساء من صوف خلق أو سلهام..."[36] ولم يغيّر من حياة الزهد والتقلل حتى بعدما استقر في مدينة وهران، وأصبحت الصدقات والنذور ترد إليه من مختلف مناطق البلاد، بحيث كان يصرف ذلك كلّه إلى من يستحقه، ولا يترك لنفسه شيئا.[37]

والظاهر أن تصوف الهواري كان بعيدًا عن مظاهر الشطح، ومما جاء في وصفه أنه كان: "صوّاما، قوّاما، جواد كريما، محبّا لآل البيت النبوي، رافعا لمقدارهم، محافظا على حدود الشريعة، زاهدا في الدنيا..."[38] ونرى أن هذه الصفات تؤكد على الأخلاق الفاضلة، وعلى التمسك بالشريعة الإسلامية. وهي من أهم العوامل التي ساهمت في إبراز مكانته لدى الخاصة والعامة، ومنحت للتصوف المغاربي عموما– لأن هذه الصفات والسلوكات ميّزت أغلب متصوفة المغرب الإسلامي– طابعا مميّزًا، وظروفا ملائمة للانتشار. ولم يلق معارضة شديدة من قبل الفقهاء بسبب اعتدال مذهبه، وحرصه على التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

وبالإضافة إلى نشاطه الوعظي والتدريسي، نذكر أن الهواري خلّف إنتاجا أدبيا تمثل في: "ثلاث منظومات في التصوف والأخلاق، قيل أنه تحدث فيها كثيرا عن نفسه وعناوينها: التسهيل، التبيان وتذكرة السائل[39] ."[40] بالإضافة إلى كتاب السهو والتنبيه.

ومن الملفت للإنتباه أن هذه المؤلفات جاءت كلها بالدارجة (العامية)، مما طرح إشكالا أمام الباحثين، هل هذا يعود إلى أن الهواري لم يكن يحسن اللغة العربية؟ أم أنَ تآليفه جاءت بالدارجة حتى تقترب من أفهام عامة الناس؟[41]

إن المستوى الثقافي الذي وصل إليه الهواري، وعدد الشيوخ الذين تتلمذ عليهم خاصة في بجاية وفاس، وحواضر المشرق العربي، والإجازات التي حصل عليها، والعلوم التي أحاط بها، وتدريسه لطلبة فاس العربية، كلّها تؤكد أن الهواري لم يكن يجهل العربية، بل يفترض أن يكون ضليعا فيها. وحتى نؤكد على ما نذهب إليه ارتأينا أن نعدّد مختلف العلوم التي درسها وأتقنها. ففي الفقه يذكر الهواري أنه كان يحفظ المؤلفات التالية:

* رسالة ابن أبي زيد (ت 386 هـ)، وشرحها للقاضي عبد الوهاب (362– 422 هـ).

* المدونة وتهذيب البراذعي (خلف بن أبي القاسم توفي نحو 400هـ).

* كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب.

* كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب[42]...(ت 646هـ).

أما في التوحيد فكان يحفظ كتاب الإرشاد في علوم الاعتقاد لأبي المعالي (الجويني)[43] 478هـ). كما عدّد ابن صعد علوما أخرى كان يتقنها حيث يقول: "أشار في منظوماته إ أنه كان يحفظ الشاطبية، والألفية، وكثيرا من الكراريس المشتملة على علوم القرآن ر وأداء ونحوا ولغة. وذكر في كثير من كلامه معرفته بكتاب ابن عطيّة في التفسير، وقيامه عل التفسير الكبير للإمام فخر الدين ابن الخطيب".[44]

إذن من غير المعقول أن شخصا بهذه المواصفات يكون عاجزا على التأليف باللغة العر الفصيحة. ويبقى الطرح الثاني، أي محاولة الكتابة بلغة قريبة من أفهام الناس أكثر إستساغ خصوصا وأنّ تلميذه إبراهيم التازي يذكر أنّ السهو الذي ألّفه الهواري بالعامية كان مخصص للأولاد.[45] وقد نعتبر ذلك اجتهادا من قِبَل الهواري، لأن ما كان يهمه هو تبليغ المعنى الرسالة التي ندب نفسه لها بغض النظر عن القالب اللغوي الذي تفرغ فيه. وإن اعترا الهواري على تلميذه عبد الرحمن المقلاش[46] الذي أصلح سهوه، وجعله باللغة الفصيحة، ف يصبّ في هذا المعنى، وإنّ إنكار الهواري معرفته للعربية حينما عقّب على فعل المقلاش بقول "ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري؟!"[47] هو من قبيل التواضع الذي عُهد به الهواري غير.

وكيف نلصق بالهواري معرّة جهله للعربية، وهو الذي كان مداوما على طلب العلم، لك في ذات الوقت معروفا بالتواضع، واحتقار منزلته: "وكان سيدي محمد رحمه الله مع هذ

الدرجة العظيمة التي حصلت له في سائر العلوم مداوما على طلب العلم، مُكثرا من تعليمه وتعلمه، معرضا على النظر إلى علمه أ؛عمله... وأنه كان يحتقر علمه ولا يرضى بعمله".[48]

لقد تعددت المهام والخدمات التي قدمها الهواري إلى سكان مدينته خاصة ومجتمع المغرب الأوسط عامة، من خلال النشاطات المكثفة التي قام بها داخل زاويته أو خارجها مثل دروس الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها، ومحاولته تبسيط تعاليم الدين الإسلامي، وحرصه على التشبث بقِيَمه العليا، وإصلاح ذات البين، والإحسان إلى الناس الذين كانوا يلجأون إليه في الأوقات العصيبة.

واستمر هذا الدور مع عدد من تلامذته الذين واصلوا رسالته من بعده، ونذكر منهم على وجه الخصوص أمين سِرّه، وخليفته من بعده إبراهيم التازي[49] بالإضافة إلى أبي الحسن علي التالوتي (ت 895هـ) الذي كان كثير المطالعة لكتاب أستاذه "السهو والتنبيه" تبركا به[50] وآخرين من أمثال عبد الرحمن المقلاش، والشيخ المشرفي[51] وابن مخلوف المزيلي (ت 868هـ) وبختي ابن عياد[53].[52] (القرن التاسع الهجري).

هذا ما احتفظت به المصادر، ومن الأكيد أن الهواري لم يترك هذا العدد المحدود من التلاميذ، وهو الذي قضى فترة طويلة من حياته مُدرّسا ومُربيا.

وتتفق جُلَ المصادر التي أرّخت لحياة محمد بن عمر الهواري، أن وفاته كانت بوهران يوم السبت 2 ربيع الثاني سنة 843هـ.[54] ونرى أن كلاّ من صاحب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، وصاحب طلوع سعد السعود – الذي نقل عن الأول– قد أخطآ حينما قدّرا عمر الهواري زمن وفاته باثنين وسبعين سنة.[55] والأصح أنه ناهز الاثنين والتسعين سنة، على اعتبار أن تاريخ ولادته يعود إلى سنة 751هـ.

وتؤكد دلائل عديدة، أنّ قبر الهواري موجود بمدينة وهران[56]، على خلاف بعض الإشاعات التي روجت لمدفنه بمناطق أخرى خارج مدينة وهران. ولقد استعرض محقق كتاب

"طلوع سعد السعود" الدكتور يحي بوعزيز عدة روايات لقبور مفترضة للهواري[57]. ولق
تحوّل قبر محمد بن عمر الهواري منذ ذلك التاريخ إلى أحد أكبر المزارات في مدينة وهران
وقرن اسمه بهذه المدينة، كما هو حال أبي مدين مع تلمسان.

الهوامش :

1- ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، المكتبة الوطنية، الجزائر، المخطوط رقم **2596**، و**2** ظ.

2 - أثبت هذا النسب كلاً من: - أبي راس الناصري، كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، الجزء الأول، مخط رقم **3327**، المكتبة الوطنية، الجزائر، و**21**و. وابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، **1973**، ص **433**. -

3- النص الكامل لهذا النسب أورده كما يلي: "سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن عياشة بن سيد الناس بن أحمد بن مح بن علي ابن الأمير أمغار بن أبي عيسى بن محمد بن موسى بن سليمان بن موسى بن محمد بن موسى بن عيسى بن مح بن موسى بن سليمان بن محمد بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب"، أنظر: الزياني محمد بن يوسف، دليل الحير وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398 هـ/**1978**م، ص **37**.

4 - مغراوة: " هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب. .. وكانت مجالاتهم بار المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبال مديونة وما إليه..." ابن خلدون عبد الرحمن، ترجمان العبر وديو المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السابع، دار الكتا اللبناني، بيروت، **1983**، ص **50**. أما هوارة فيذكر عنهم ابن خلدون عبد الرحمن أنّ لهم بطون عديدة، وهم ينتسبو إلى البرانس بإجماع نسّابة العرب والبربر "ولد هوار بن أوريغ بن برنس" وعدّد من بين بطونهم بني نبه، وأوريغ وبن كهلان وغيرهم.

أما هوارة الذي استوطنوا بلاد المغرب الأوسط فذكر بشأنهم: "ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط أهل الجبل المطل على البطحاء، وه؛مشهور باسم هوارة، وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم، ويعرف رؤساؤهم من بني إسحاق. وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا بني يلومين، فلما انقرضوا صار إليه هوارة وأوطنوه..." - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، المجلد السادس، ص **282 - 284**، ص **292**.

وذكر الحميري محمد بن عبد المنعم بخصوص قلعة هوارة ما يلي: "بالمغرب بقرب تاهرت، وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب، وتحتها فحص طوله نح؛أربعين ميلا، يشقه نهر سيرات ويسقي أكث أرضه فسمي ذلك الفحص "سيرات" باسم النهر..."، الحميري محمد بن عبد المنعم، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، **1975** ، ص **470**.

5- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص **434**.

6- راجع رأي الدكتور عبد الحميد حاجيات: "سيدي محمد الهواري، شخصيته وتصوفه "، مجلة الثقافة، العدد الثامن والثمانون، **1985**، ص **78**.

7- أورد ابن خلدون اسم هذه البلدة وهو يصف ممر وادي شلف بقوله: "ويمر في وادي شلف بني واطيل النهر الأعظم... ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا وغيره إلى أن يصب في البحر الرومي ما بين كلميت؛ومستغانم". ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر والجزء السابقان، ص **203 - 204**.

- ووصفها المهدي البوعبدلي في هامش الصفحة **435** من كتاب الثغر الجماني بقوله: "مدينة أثرية تعرف بالسور، قرب عين تادلس، ولاية مستغانم".

8- د/ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، **1995**، ص **211**.

9- ابن صعد، روضة النسرين، المخطوط السابق، و**4** و.

10- ابن صعد، نفس المخطوط، و**3** و-ظ.

11- ابن صعد، نفس المخطوط، و**4**و.

12- ابن صعد، نفس المخطوط، ، نفس الورقة.

13- ابن صعد، نفس المخطوط، و**7**و.

14- د/عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

15- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص **443**.

16- راجع قصة أبي مدين شعيب والولي أبي يعزى مثلا: ابن الزيات التادلي أبو يعقوب، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، **1984** ، ص **320 - 321**.

17-: "كان واحد قطره في حفظ مذهب مالك، متفننا في المعارف والعلوم، جمع بين العلم الغزير، والدين المتين، وتخرّج بين يديه جماعة من الفضلاء الأئمة كالإمام عبد الرحمن الوغليسي ونظرائه. وكان يطلق عليه فارش السجاد، لكثرة صلاته، وكان كثير الصوم، والصدقة - أعماله كلها سرًا، وكان على طريق السلف الصالح في الاتّباع، كثير التواضع، جميل العشرة، صبورًا على الاشتغال، حسن التعليم. وله تعليق على "بيوع الأجال" من مختص ابن الحاجب، وغير ذلك..." ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، **1417**هـ/**1996**م، ص **138**.

18- هو خلف بن أبي القاسم أبو القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي: "من كبار أصحاب أبي محمد بن أبي زيد، وأبي ال القابسي: من حفاظ المذهب له فيه تآليف منها: كتاب التهذيب في اختصار المدونة... وقد ظهرت بركة هذا الك على طلبة الفقه، وسَمَوْا بدراسته وحفظه، وعليه معوّل الناس بالمغرب والأندلس... ومن تآليفه أيضا: ك "التمهيد لمسائل المدونة"... وكتاب: "الشرح والتمامات لمسائل المدونة" ..." ابن فرحون المالكي(ت 799هـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العربية، بيرو الطبعة الأولى، 1996، ص 182.

19- ابن صعد، روضة النسرين، المخطوط السابق، و7 – و–ظ.

20- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم عبد الرحمن طالب ديوان المطبوعات الجا الجزائر، 1986، ص 232، التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج (طبع على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص303.

21- "...وكان مجلسه أعظم المجالس بفاس يحضره الفقهاء والصلحاء والمدرسون وحفاظ المدونة، وتحضر من نسخ الطلبة ما يقرب من الأربعين. وكانوا له إدلال عجيب في إقراء التهذيب... ولا رأيت في الفقهاء أعظم تع للشيخ أبي يعزى، وكان في أكثر مجالسه يذكر لنا ما تبدّى من أحواله ويشير أن ما ثم في الأولياء مثله. وكان ي عنه في باب زكاة الحرث أنه إذا حرث يخرج للضعفاء تسعة أعشار ويتمسك بالعشر..." ابن قنفذ القسنطي العباس أحمد، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965، ص أنظر كذلك: التنبكتي، المصدر السابق، ص 342 – 343.

22- " قال ابن الخطيب في الاحاطة: هذا الرجل صدر من صدور عدول الحضرة الفاسية، وناهض عشيهم، ففيه مدرك جيّد النظر، شديد الفهم، ولّي القضاء بجبل الفتح، متصفا فيه بجزالة وانتهاض، وحج واجتمعت به في النبوية. وله شرح مسائل ابن جماعة في البيوع شرحا مفيدًا. وذكر لي بعض الطلبة أنه شرح قواعد الإسلام للقا عياض. وتوفي رحمه الله بعد الثمانين وسبعمائة" ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 105. وذكر ابن قنف توفي سنة 779هــ، المصدر السابق، ص78.

23- ابن صعد، روضة النسرين، المخطوط السابق، و9 و_ظ.

24- ابن صعد، المخطوط نفسه، و10و.

25- الزياني محمد بن يوسف، المصدر السابق، ص 38.

26- المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، الجزء الأول، ص 69.

27- د/ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 212.

28- ابن صعد، المخطوط السابق، و10ظ.

29- "عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أب؛الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحّاثة من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر... من كتبه "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار – ط" في تخريج أحاديث الاحياء، ؛"نكت منهاج البيضاوي" في الأصول ؛"الذيل على الميزان" ؛"الألفية – ط" في مصطلح الحديث، وشرحها و"فتح المغيث_ط" و"التحرير_خ" في أصول الفقه..." خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الحادية عشر، 1995، المجلد الثالث، ص 344 – 345.

30- التنبكتي، المصدر السابق، ص 303.

31- ابن صعد، روضة النسرين، المخطوط السابق، و10ظ.

32- ابن صعد، نفس المخطوط، و10ظ – و11و.

33- د/ عبد الحميد حاجيات، المرجع، ص 79.

34- ابن صعد، المخطوط السابق، و12ظ.

35- ابن صعد، نفس المخطوط، و14و.

36- ابن صعد، نفس المخطوط، و14ظ.

37- ابن صعد، نفس المخطوط، و15ظ.

38- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 443.

39- وردت هذه المنظومة (تذكرة السائل) بعنوان "تبصرة السائل". راجع ابن صعد، المخطوط السابق، و76

40- د/ عبد الحميدحاجيات، المرجع السابق، ص 79، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1971، ص 173.

41- اعتبر الدكتور مختار بوعناني مسألة جهل الهواري للعربية مردودة، وغير ممكنة، لاعتبارات عديدة منها سعة ثقافته، وتعدد مشائخه، والمعاهد التي درس بها، وإجازاته العديدة. راجع هذا الموقف ضمن المحاضرة التي ألقاها في ملتقى حول تاريخ مسيرة علماء وهران العلمية والوطنية المنعقد بوهران يومي 29 – 30 سبتمبر 1997 بعنوان: "الإمام الهواري وكتاب السهو" ص 33 – 36. المحاضرة رقنت ووزعت على الحاضرين.

42- ابن صعد، روضة النسرين، المخطوط السابق، و59.

43- ابن صعد، نفس المخطوط، و61و.

44- ابن صعد، نفس المخطوط، و58ظ.

45- ابن مريم، المصدر السابق، ص 229، التنبكتي، الصدر السابق، ص 304.

46- لم نتمكن من تحديد فترة حياته (مولده أو وفاته لكن مادام أنه معاصرا للهواري فهو من أهل القرن التاسع الهجري).

47- ابن مريم، نفس المصدر والصفحة، التنبكتي، نفس المصدر والصفحة.

48- ابن صعد، المخطوط السابق، و60و.

49- ابن مريم، المصدر السابق، ص 228.

50- التنبكتي، المصدر السابق، ص 304، الزياني، المصدر السابق، ص 39.

51- عثرنا على شخصية تدعى الطاهر المشرفي، تعود إلى العهد العثماني في الجزائر، ومما جاء في تعريفها: "الطاهر بن القادر بن عبد الله ابن محمد المدعو ابن دحو المشرفي المعسكري، العلاّمة الجليل، قاضي وهران ودفينها على الترك، وشارح "النصيحة الزروقية..." أنظر: عبد الحي ابن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات المعاجم والمشيخات والمسلسلات، إعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، المجلد الأول، 466. وهو غير الشيخ المشرفي الذي ذكر في المتن.

52- كل ما عثرنا عليه أنّ هذه الشخصية مدفونة قرب بلدة بوتليليس إلى الغرب من وهران على بعد حوالي 30 عليها قبة، وهي مزار لسكان المنطقة وضواحيها.

53- د/ مختار بوعناني، المرجع السابق، ص 24.

54- ابن صعد، المخطوط السابق، و94ظ، ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 448، المزاري، المصدر ص 71.

55- أنظر كلا من: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، الصفحة السابقة، والمزاري، المصدر السابق، الصفحة

56- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، الصفحة السابقة، الزياني، المصدر السابق، ص 42

57- راجع المزاري، المصدر السابق، هامش صفحات 71، 72، 73.

الكولون الفرنسيون والتعليم الفلاحي في الجزائر.

أ / عبد القادر حلوش*

عندما تبنت الإدارة الفرنسية سياسة تعليمية[1] بعد تغييب طويل للحياة الثقافية، تحرك الكولون الفرنسيون ممثلين في صحافتهم المتطرفة لعرقلة هذا المشروع- رغم طابعه التجهيلي والاستعماري- الذي دافع عنه الجمهوريون منذ 1871م بحماس شديد بتأسيسهم للمدرسة الجزائرية القادرة على تحقيق الإدماج وربط الجزائر[2] بفرنسا في جميع المجالات، مطالبين في المقابل بإقامة التعليم الفلاحي الذي يخدم مصالحهم ومصالح المستعمرة القائمة أساسا على استغلال البلاد والعباد.

الحقيقة أن الكولون لم يكونوا يرضون لا بالتعليم النظري ولا التطبيقي الذي شددوا عليه في مطالبهم، وهذا الموقف من الكولون ليس إلا محاولة منهم لإخفاء رفضهم المطلق والكلي لتعليم الجزائري مهما كان نوعه واتجاهه، وقد عبروا عن هذا الرفض في مناسبات عديدة وقدموا لذلك حججا متعددة، عنصرية، مالية سياسية تقليدية.

---

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.